

الزبداني إلى الحسم النهائي خلال أيام... والجيش السوري يرفض التفاوض مع المسلحين

زيتون لأبي مالك التلي؛ «لحقونا»... فإما الذبح أو الأسر

محمد حمية

في الأول من تموز الماضي، انطلقت المعارك العسكرية في مدينة الزبداني، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن تواصل قوات الجيش السوري والمقاومة تحقيق الإنجازات الميدانية. إذ أحكمت قبضتها على معظم النقاط والتلال الاستراتيجية في السلسلة الجبلية، وتم تطهير عدد من المناطق والأحياء داخل المدينة وطردها المسلحين منها، وما تبقى منهم عدد قليل يبلغ 1200 مسلح محاصرون في نقطة دائرية تقع في منطقة عبارة عن مزارع بين الزبداني ومضايا تبلغ مساحتها 500 متر مربع، ومحاصرة من كل الجهات بعدما نفذت الذخيرة منهم، ما وضعهم أمام خيارين، إما الاستسلام أو الموت. ما يعني أن الزبداني إلى الحسم النهائي خلال أيام.

لا شك أن طبيعة الزبداني وموقعها الجغرافي احتاج إلى هذا الوقت الطويل لحسم المعركة. فالمعركة معركة أحياء وأبنية وأنفاق، ولم تكن سهلة. المسلحون منذ سنتين يخزنون الأسلحة ويحفرن الأنفاق استعداداً لهذه المعركة. طلب المسلحون خلال الهدنة التي تم الاتفاق عليها لمدة 24 ساعة ممرآماً باتجاه القلمون مقابل ممر آمن لأهل الفوعا وكفريا، لكن هنا كانت المفاجأة التي لم يحسب لها المسلحون حساباً. فخلال هذه الهدنة وصل الدعم إلى أهالي الفوعا وكفريا، وفي المقابل لم يتمكن المسلحون من إيصال الدعم للمسلحين في الزبداني. وفي هذه الأثناء ارتأت قيادات المقاومة والجيش السوري أنهما في الموقف الأقوى وبالتالي لا حاجة للتراجع عن الحسم في الزبداني. وتؤكد المعلومات الميدانية فرار محمد زيتون قائده المجلس العسكري للفصائل المسلحة في الزبداني باتجاه مضايا، في حين رفض أهالي مضايا وسرغايا دخول المسلحين إليها كي لا تتعرضن للخطر والدمار. هذه الوقائع والظروف الصعبة التي يعاني منها ما تبقى من مسلحين في الزبداني دفع زيتون قبل فراره إلى إرسال رسالة منذ يومين إلى قائد «جبهة النصر»، في القلمون أبو مالك التلي يطلب منه التحرك لإنقاذ مجموعته المحاصرة في الزبداني، ويقول له: «إذا ما لحقتو نأما الذبح أو الأسر».

وبعد هذه الرسالة حاول أبو مالك التلي تحريك المجموعات المسلحة التابعة له في عرسال لفك الطوق عن المسلحين المحاصرين في الزبداني. لكن طيران الجيش السوري يعيق هذا التحرك، فيما الجيش اللبناني والمقاومة يرصدان الجبال.

حسم الزبداني مهم جداً لقيمتها الاستراتيجية والجغرافية والسياسية والمعنوية وموقعها الجغرافي، فهي شوكة في خاصرة العاصمة السورية ويمكن أن تهدد الطريق الدولية الوحيدة بين بيروت ودمشق. كما لا يمكن استكمال تحرير القلمون السوري، وظهرها أي الزبداني. غير مؤمن.

بعد حسم الزبداني سيجب الجيش السوري والمقاومة لاستكمال معركة القلمون التي توقفت فجأة لأسباب عدة، لأن تحرير القلمون يربح لبنان ويقطع تواصل المجموعات المسلحة المحاصرة في لبنان بين القلمون والزبداني، أما الهدف الثاني فهو وادي بردى، لأن هذه المنطقة مفتوحة على الغوطة الشرقية. ما يفتح معركة ما تبقى من مناطق يسيطر عليها المسلحون في ريف دمشق.

فما هي حقيقة الوضع الميداني في الزبداني، وماذا جرى خلال تفاوض ربيع الساعة الأخير قبل اتخاذ الجيش السوري والمقاومة قرار الحسم؟ وهل يقاوت ما تبقى من مسلحين محاصرين أم يسلموا أنفسهم؟ وما هي أهمية حسم الزبداني وما هي الأهداف التالية؟



الزبداني تاريخ وحضارة

الزبداني، مدينة ومصيف سوري، ومن أقدم المصايف العربية وأشهرها. تتبع المدينة محافظة ريف دمشق، وتقع على مسافة 45 كيلومتراً شمال غربي العاصمة دمشق. وتمتد المدينة على سفوح سلسلة جبال لبنان الشرقية، وتشرف على سهل رائع هو سهل الزبداني.

ارتبط تاريخها باقدم عاصمة ما زالت مأهولة في التاريخ -دمشق، وتقع على يمين الطريق الدولي الذي يربط دمشق ببيروت، في وسط المسافة بين دمشق وبلبعك، في هذه جبلية في سلسلة الجبال السورية، حيث ترتفع عن سطح البحر ما بين 1150 و1250 متراً.

منحيا، تقع الزبداني في منطقة نصف جافة إلى نصف رطبة، بمعدل أمطار يبلغ 500 ملم في السنة. تحدها سلسلتان جبليتان، هما جبل سنير من الغرب وجبل الشقيف من الشرق، ويتوسطها بساط أخضر يشكل سهل الزبداني. تحيط بالمدينة مجموعة من البلدات والقرى، وهي: بلودان وبقيف ومضايا وسرغايا. وينبع من جنوبها نهر بردى. كما تكثر الينابيع في الزبداني، فمنها نبع العرق والكبرى والجرجانية، وتتنوع فيها الفغار وأشجار الفاكهة من التفاح والإجاص والخوخ والدراق إلى الجوز والتين والعنب وغيرها.

الجدير ذكره أن في منطقة الزبداني كانت تقوم مجموعة كبيرة من الأديرة للرهبان والنسك على مساحات صغيرة من الأرض، يستثمرها الرهبان لمعيشتهم وحياتهم. ومن هذه الأديرة دير الأخرس ودير سلامة.

الزبداني -غير مؤتمن- وأشهر الدكتور جابر إلى أن تحرير الزبداني يربح العاصمة السورية دمشق المهتدة من المبروك والغوطة الشرقية ومن الجنوب بين الحين والآخر. كما تصبح الغوطة الغربية تحت سيطرة النظام في سورية. وإن لفت جابر إلى وجود مئات المقاتلين في الزبداني ومحيطها، أكد ان هذا العدد مخيف، لأن مئة مسلح يستطيعون إرباك الجيش لمدة اسبوع، فضلاً عن انهم يعرفون الأرض والمخارج جيداً، وإذا لم يفتح لهم الطريق للاستسلام، فإما سيحاربون حتى الموت أو الاستسلام.

ويؤرخ جابر أن يتجه الجيش السوري والمقاومة بعد الزبداني لاستكمال معركة القلمون التي توقفت فجأة لأسباب عدة، لأن تحرير القلمون يربح لبنان ويقطع تواصل المجموعات المسلحة المحاصرة في لبنان بين القلمون والزبداني. كما ان تحرير الزبداني يربح الجهة اللبنانية لأن



جابر

مطرحة تعرضت للغزو الا وكانو أول الناس بالمعركة، يبيرو أول ناس كانوا وركتوس أول ناس كانوا، ليه هلي تخاذلنونا معنا؟ إذا ما بدكن تعينونا وتكونوا معنا فيه يوم قيامه انشالله منقعد عليه. وسامحنى إذا كنت قاسي بالحكي، لحقونا... يا إما يتلحقنا يا إما يصطلف فيكن الله جميعا والسلام عليكم!»

وأكدت مصادر ميدانية مقتل باسر العمري قائد ما يسمى «الجيش الحر» في الزبداني أثناء فراره الثلاثاء الماضي، كما سيطر الجيش السوري وحزب الله على حارة «الماس»

معادلة الزبداني مقابل الفوعا -كفريا سقطت بعد وصول الدعم إلى البلديتين

في الحي الغربي من الزبداني، وضبط مصنع صواريخ وعبوات ناسفة.

كما قالت المصادر إن مسلحي ما يسمى «الجيش الحر» وبعض الفصائل الارهابية أعلنوا منذ الثلاثاء الماضي عن بدء معركة ما يسمى «نصرة الزبداني» في ريف درعا الشمالي. وأولى نتائج هذه المعركة مقتل وجرح عشرات المسلحين خلال اشتباكات مع المقاومة والجيش السوري في محيط بلدتي تل قرين وكفرتاسج عند مثلث البطولة (دمشق - درعا - القنيطرة) في ريف درعا.

الزبداني والحسم الاستراتيجي

وأكد الخبير العسكري والاستراتيجي العميد هشام جابر له «البناء» أن حسم الزبداني مهم جداً، نظراً إلى قيمة المنطقة الاستراتيجية والسياسية والمعنوية وموقعها الجغرافي، فهي شوكة في خاصرة العاصمة السورية دمشق ويمكن أن تهدد الطريق الدولية الوحيدة بين بيروت ودمشق. كما لا يمكن استكمال تحرير منطقة القلمون السورية وظهرها أي

وكشفت المصادر أنّ المفاوضات التي حصلت منذ اسبوع دارت حول طلب المسلحين في الزبداني ممرآماً باتجاه القلمون مقابل ممر آمن لأهالي الفوعا وكفريا. ومدت هذه المفاوضات كانت 48 ساعة مددت إلى 72، وخلال هذه الهدنة وصل الدعم إلى أهالي الفوعا وكفريا. وفي المقابل لم يتمكن المسلحون من إيصال الدعم للمسلحين في الزبداني. وارتأت قيادات المقاومة والجيش السوري أنها في الموقف الأقوى، وبالتالي لا حاجة للتراجع عن الحسم في الزبداني. ليستقر الوضع على الحسم، خصوصاً أن عوامل الصمود موجودة في الفوعا وكفريا.

وتحدثت المصادر عن أن أعداد المسلحين في الزبداني الذين يسلمون أنفسهم للجيش السوري والمقاومة إلى تزايد في الأيام القليلة الماضية، إذ سلم 82 مسلحاً انفسهم للجيش السوري وأربعة لحزب الله، فيما بلغ عدد جرحى الجيش السوري حوالي 20 جريحاً ولا شهداء، وسقط للمسلحين 210 جريحاً و1000 قتيل في الاسبوع الماضي.

وكشفت المصادر أن أبا مالك التلي ويطلب من قادة المسلحين في الزبداني، يحاول تحريك المجموعات المسلحة التابعة له في عرسال لفك الطوق عن المسلحين المحاصرين في الزبداني، لكن طيران الجيش السوري يعيق هذا التحرك. كما كشفت المصادر أن أبا مالك التلي هو عملياً قائد لواء «الغرياء» الذي يتواجد بين عرسال والقلمون، لكن لم يستطع تحريكه لأن الجيش اللبناني يرصد الجبال والمقاومة ترصد في منطقة التل.

وأشارت المصادر إلى أن أهالي مضايا وسرغايا يرفضون دخول المسلحين إليها كي لا تتعرضا للخطر والدمار والاشتباكات. وأكدت أن الإلتحافات مستمرة لمخابى المسلحين وأنفاقهم. لكن ثمة مفاوضات بين الفترة والأخرى، وحصلت هدنة واحدة الاسبوع المنصرم تم تمديدتها يوماً واحداً. لكن قيادات الجيش السوري والمقاومة الآن حسمتا قرارهما بأن لا مفاوضات مع المسلحين، بل عليهم تسليم أنفسهم للدولة، لذلك أمام المسلحين في الزبداني خيارين إما الاستسلام أو الموت، ما يعني أن الزبداني إلى الحسم النهائي خلال 48 ساعة.

رسالة زيتون إلى التلي

وحصلت «البناء» على رسالة أرسلها قائد المجلس العسكري للفصائل المسلحة في الزبداني محمد زيتون منذ يومين إلى قائد «جبهة النصر»، في القلمون أبو مالك التلي، يطلب منه التحرك لإنقاذ مجموعته المحاصرة في الزبداني. ويقول له: «إذا ما لحقتونا إما الذبح أو الأسر».

وهذه نص الرسالة كاملاً وحرفياً مع كامل أخطائه: «أخي أبو مالك، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أخي من الآخر الزبداني معها اليوم ويكرا وبعد بكرا اعتباراً من الرسالة هاتي، أقسم بالله إذا لحقتوها لحقوتها وما لحقوتها راح ألف أخ يا أسرى يا ذبح. الحزب والجيش يا أخي، إذا فيه مجال نتواصل مع جماعة الجبهة فوق نقلو لهيدا القائد الشامي تبع لواء الشام فيلق الشام، يا بيتواصلوا وبيتنازلوا شوي وبلحقوهن بهاليومين، يا إما وينك، فيه يوم قيامه أقسم بالله لنحاجككم وإنث بالذات، لأنك قادر إنك توصل وتحل. أما إذا ما بدكن تحلوها، وينك، أنا شاكينك لواحد أحد، انت والجولاني وأبو جابر قائد الإحرار، كل شي بدل لأحرار الشام ولجيش الفتح أو للجبهة أو أي فصيل والله لن نسامحن والله ينتقم منكن وخذلنا وأهل الزبداني، لأن أهالي الزبداني ما فيه

الزبداني سقطت

بعد مرور شهرين على انطلاق العمليات العسكرية في مدينة الزبداني، أحكمت قوات الجيش السوري والمقاومة قبضتها على مجموعة من النقاط والتلال الاستراتيجية في السلسلة الجبلية وأبرزها «قرمان» و«رأس الشحعة» و«شبر القرنة» و«شبر الهوة» و«شعب الألد» و«بير كاسو» و«قصر المروود» و«جبل الشيخ» منصور، و«رأس القرن» و«الشقيف الأحمر».

يؤكد مصدر عسكري له «البناء» أن الهجوم الواسع الذي يشنه الجيش السوري والمقاومة على الزبداني انتهى، وما يحصل حالياً عملية تنظيف المنطقة بقعة بقعة ضمن منطقة واحدة محصورة ومحاصرة تتراوح ضمن مساحة دائرية عرضها 700 متر وطولها 500 شرق. شمال جامع الزهراء.

ولفت المصدر إلى أن المسلحين وضعوا نقطة الدفاع المركزية التي تتكون من الأنغام والمتفجرات والإفخاخ التي تعتبر عملية اختراقها وإزالتها صعبة، فترامك الإبنية والتراب يمثل خط دفاع عن المسلحين، لأنها تعيق تقدم المهاجمين، لذلك توقف حزب الله والجيش السوري عن الصف المدفعي والتدميري كي لا يتراكم التراب والإبنية المهتدة ما يعيق تقدمها الميداني.

وأوضح أن مجموعات خاصة من الجيش والمقاومة نفذت الطوق الأخير وعمليات الخنق التي تقتصر على ضربات وجراحة موضعية لتواجد المسلحين ونقاط الأسلحة الثقيلة. ويضيف: المنطقة كلها محكومة من كافة الجهات ولكن لدى المسلحين بعض الأنفاق تحت الأرض ينتقلون عبرها لاستنزاف هجوم الجيش السوري والمقاومة، اللذين أوقفوا الهجوم ويعلمان على الرد على مكان انطلاق النار بالحجم نفسه.

ويزعم المصدر أن لا إمكان لصمود المسلحين في الزبداني، المسألة الأساسية تدور حول دور مضايا وسرغايا في تقديم

المسلحون محاصرون في بقعة دائرية... وأهالي مضايا وسرغايا يرفضون دخولهم إليها

المساعدة في فك الطوق عن المسلحين وبالتالي الزبداني باتت خارج إطار المفاوضات التي حصلت في السابق، لأن ما تبقى منها هما مضايا وسرغايا المطوقتان من الجيش السوري والمقاومة. وأهمية حسمها تكمن في استكمال تنظيف القلمون الجنوبي.

وبين المصدر أن معادلة الزبداني مقابل كفريا والفوعا لم تعد قائمة اليوم بعد التقدم الكبير للجيش والمقاومة. كما أن مضايا وسرغايا موصولتان من جهة اللبنانية عبر جنتنا أعلى جبال لبنان الشرقية، حيث يتواجد فيها حزب الله ومن الجنوب الجيش السوري ومن الشمال أي من جهة القلمون مطوقة.

وادي بردى الهدف المقبل

ورجح المصدر أن يشن الجيش السوري وحزب الله هجوماً باتجاه وادي بردى، لأن هذه المنطقة مفتوحة على الغوطة الشرقية إلى البادية عبر مطار «الضميم». كما أن أهالي وادي بردى يضغطون على المسلحين للخروج منها.

وأضاف: المتناقد الحقيقية للمسلحين في الزبداني هي عبر وادي بردى، والتي تعتبر نقطة التهريب الأساسية تاريخياً. ودخلت إليها التنظيمات المسلحة التي تحرف مسالك الدخول والخروج منها.

ويتابع المصدر: معظم المقاتلين في الزبداني هم من مضايا وسرغايا. وفي المفاوضات السابقة طرح خروجهم إلى إدلب بلا أسلحتهم الثقيلة، لكن ذلك لم يحصل، لأنه عند وصولهم إلى إدلب سيؤمن لهم السلاح من التنظيمات الأخرى. وكشفت المصدر عن عدد المسلحين المتواجدين الآن في مناطق مضايا وسرغايا والزبداني ووادي بردى يتراوح بين 1000 إلى 1500 مقاتل، وتساءل: هل هناك مصلحة للقيادة السورية والمقاومة في إخراجهم من المنطقة إلى مناطق أخرى؟ خصوصاً انتقالهم إلى منطقة سهل الغاب في حماة؟، هذا تقدره القيادة وفقاً للمعطيات الميدانية.

المسلحون محاصرون

وأكدت مصادر ميدانية في الزبداني له «البناء» أن 1200 مسلح محاصرون في نقطة دائرية تقع في منطقة عبارة عن مزارع بين الزبداني ومضايا تبلغ مساحتها 500 متر مربع، ومحاصرة من كل الجهات بعدما نفذت الذخيرة منهم. وأشارت إلى أن مضايا وسرغايا قربتان صغيرتان ساقطتان، والمسلحون لا طريق لهم للاستسحاب بعدما حوصروا وخسروا القائد وهو محمد زيتون قائد المجلس العسكري للفصائل المسلحة في الزبداني الذي فر باتجاه مضايا.

